علم اللغة السلوكي
النشأة والمرجعيات والمبادئ وآراء النقاد فيه

هيفاء طالب شهاب
أ.م.د.حيدر غضبان محسن
كلية الآداب/ جامعة بابل

Behavioral linguistics
Origin, references, principles and critics' opinions on it

Hayfaa talib shihab
Asst. Prof. Dr. Haider Ghdban Muhsin
University of Babylon- College of Art
Haider11291@gmail.com

Abstract:

This research aims to reveal the factors of the emergence of behavioral linguistics in the United States of America by Leonard Bloomfield and the justifications for that methodological shift in the study of language, and to reveal the intellectual references on which behavioral linguistics built its conceptual perceptions, and analytical procedures, and then talk about the principles of behavioral linguistics, stages of development, and present the opinions of critics of linguists in it. The importance of this research is that this attempt goes beyond historical description and presentation of principles to build an integrated model to study language a behavioral study after revealing the factors of origin, references, principles and opinions of critics in behavioral linguistics.

Accordingly, the research consisted of four sections; the first section was devoted to (methodological transformation in the twentieth century). The second section dealt with (justifications for the methodological transformation of Bloomfield), and the third section revealed (references of behavioral linguistics). The fourth section dealt with (principles of behavioral linguistics and its criticisms), and theses sections was followed by a conclusion in which we showed the most important results, and then concluded with a list of the most important references.

Keywords: Lexicology, Linguistics, Behavioral Linguistics, Bloomfield

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن عوامل ظهور علم اللغة السلوكي في الولايات المتحدة الأمريكية على يد ليونارد بلومفيلد ومسوغات ذلك التحوّل المنهجي في دراسة اللغة، والكشف عن المرجعيات الفكرية التي بنى عليها علم اللغة السلوكي تصوّراته المفاهيمية، وإجراءاته التحليلية، ومن ثم الحديث عن مبادئ علم اللغة السلوكي مراحل تطورها، وعرض آراء النقاد من علماء اللغة فيه، و. وتأتي أهمية هذا البحث في أن هذه المحاولة تتجاوز الوصف التاريخي وعرض المبادئ إلى لبناء نموذج متكامل لدراسة اللغة دراسة سلوكية بعد الكشف عن عوامل النشأة والمرجعيات والمبادئ وآراء النقاد في علم اللغة السلوكي.

وبناء على ذلك تكوّن البحث من أربعة مباحث؛ خُصص المبحث الأول لـ(التحوّل المنهجي في القرن العشرين). وتناول المبحث الثاني (مسوغات التحوّل المنهجي عند بلومفيلد)، وكشف المبحث الثالث عن (مرجعيات علم اللغة

السلوكي). وعالج المبحث الرابع (مبادئ علم اللغة السلوكي وانتقاداته)، وتلت تلك المباحث خاتمة بيّنا فيها أهم النتائج، ثم ختمناه بقائمة بأهم المصادر.

الكلمات المفتاحية: علم اللغة–اللسانيات–علم اللغة السلوكي–بلومفيلد

المبحث الأول

التحوّل المنهجي في دراسة اللغة في القرن العشرين

قبل الحديث عن مرجعيات المنهج السلوكي في دراسة اللغة، نجد من الضروري بسط الحديث عن العوامل التي أدّت إلى ظهوره والحركات اللغوية التي سبقته وسبب التحوّل إلى ذلك المنهج.

أولا: عوامل ظهور علم اللغة في أوربا:

سادت في القرن التاسع عشر النزعة التاريخية المقارنة في دراسة اللغة مستندة إلى الفلسفات الراسخة في ذلك العصر التي تهدف إلى الوعي بنواميس الصيرورة التاريخية، والبحث عن القوانين المتحكمة في نظام الظواهر عبر حركة التاريخ. وقد أفادت الدراسات التاريخية والمقارنة من جدلية هيجل وتطوّرية داروين. وتبنّت ألمانيا تلك الفلسفات والمنهجيات البحثية في القرن التاسع عشر(١). وكانت ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى المركز الأول للفكر اللغوي والدول الأخرى تنقاد إلى مراكز البحوث اللغوية التاريخية والمقارنة في برلين، لهذا لا غرابة أن تستقطب تلك المراكز رواد علماء اللغة في القرن العشرين، أمثال؛ سوسير في أوربا(٢)، وفرانز بواز وأدورد سابير وبلومفيلد في أمريكا، إذ حاز هؤلاء جميعا الشهادات العليا بالبحث التاريخي والمقارن في ألمانيا(٣).

إلا أنَّ ثمة عوامل أدّت إلى ظهور منهج جديد موازٍ للمنهج التاريخي والمقارن وليس مقاطعا له تمثّل بالمنهج البنيوي والوصفي في أوربا وأمريكا، ومن تلك العوامل خسارة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وزوال أثرها السلطوي(٤)، ومنها التقدّم العلمي الذي بدأت بوادره في نهاية القرن التاسع عشر ممثلا بنظرية الكمّ في علم الفيزياء، ونظرية الطفرة الوراثية في علم الأحياء، ونظرية الجشطالت في علم النفس، وأثرت بدايات القرن العشرين المعارف بمفاهيم كالنسبية والإلكترونيات والتحليل النفسي والسلوكية، زيادة على ظهور علم الذرة وعلم التحكم والتوجه ونظرية الاتصال(٥).

وقد تمثّل ذلك التحوّل الفلسفي بظهور عصر البنيوية في القرن العشرين الذي اعتمد على مبادئ الفلسفة التجريبية ممثلة ببيكون وغاليلو وجون لوك وغيرهم، والفلسفة الوضعية ممثلة بدوركهايم في علم الاجتماع وفرويد في علم النفس الاستبطاني وفي الولايات المتحدة الأمريكية جون واطسون مؤسس السلوكية(٦)؛ المرجعية الأساسية في المنهج السلوكي عند بلومفيلد.

---

(١) ينظر: مباحث تأسيسية في اللسانيات، د. عبد السلام المسدي: ١٧٢. وإشكالية المصطلح وأثره في تصنيف المناهج اللسانية، د.حيدر غضبان: ٥٣٧.

(٢) ينظر: أعلام الفكر اللغوي، جوزيف نايجل, جون راي, توليب جي تلر:٢٢/٢

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي, برجية بارتشت: ٢٣١, وسلوكية بلومفيلد ومسوّغات إعمامها، د.حيدر غضبان، مقال منشور في جريدة المترجم العراقي، العدد التاسع، أيلول، ٢٠١٩: ٦.

(٤) ينظر: أعلام الفكر اللغوي، جوزيف نايجل, وآخرون: ٢٢/٢، وإشكالية المصطلح وأثرها في تصنيف المناهج اللسانية، د.حيدر غضبان: ٥٣٧.

(٥) ينظر: اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش: ٩٩–١٠٠.

(٦) ينظر: إشكالية المصطلح وأثرها في تصنيف المناهج اللسانية، د.حيدر غضبان: ٥٣٧–٥٣٨.

ثانيا: التحوّل المنهجي في دراسة اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية:

لقد بدأت بعض تقاليد البحث اللغوي في التطور بالولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد ويليام دوايت ويتني (١٨٢٧–١٨٩٤) أستاذ اللغة السنسكريتية في جامعة ييل، إلا أن أفكاره لم تكن مستقلة بذاتها وإنما جاءت مندمجة مع التفكير اللساني الأوربي أو الأمريكي في القرن العشرين(١).

تطور بعد ذلك علم اللغة البنيوي في الولايات المتحدة الأمريكية تطوراً مستقلاً عن الأفكار الأوربية(٢)، على يد فرانز بواز وتلميذه أدورد سابير ومن ثم على يد بلومفيلد، متأثرين بذلك بروح البحث العلمي الذي تلقوه في ألمانيا، إلا أنَّ سبب التحوّل المنهجي من الدراسة التاريخية والمقارنة إلى الدراسة الوصفية في دراسات اللغات الهندو أمريكية عند هؤلاء هو عدم ملاءمة المنهج التاريخي والمقارن لهذه اللغات؛ فهو سبب ينبثق من طبيعة اللغات الهندية الأمريكية –كما سيأتي– ولا يتعلّق بذات المنهج التاريخي والمقارن(٣).

"ورائد هذا التغيير فرانز بواز (١٨٥٨–١٩٤٢) الأستاذ في جامعة كولومبيا والمتخصص في اللغات الهندية الأمريكية"(٤)، وظهر مرجعه (جامع اللغات الهندية الأمريكية بالإنكليزية من (١٩١١ – ١٩٢٢).

"أظهر بواز في مقدمة كتابه ملخصاً مفيداً في دراسة اللغة إذ أصبحت تعرف في ما بعد بـ(المدرسة الوصفية الأمريكية)"(٥)، وأوضح في هذا المرجع فكرتين رئيستين، هما: "الإشارة إلى أن المناهج التقليدية التي طورت في أوربا لدراسة اللغات الهندو أوربية لا يجوز أن تنقل إلى اللغات الهندية الأمريكية، والفرضية الإنسانية هي أنه لا توجد شعوب ولا لغات متخلفة، ثم بين خواص اللغات الهندية وهي: أنها لا تراث لها"(٦).

ثم برز سابير (١٨٨٤–١٩٣٩) وهو أحد تلامذة بواز وأهم من درس اللغات الهندية الأمريكية في زمانه وكان عالما في دراسة اللغة ومتخصصا في علم الأنثروبولوجيا(٧) .

"أعاد سابير طرح فكرة النسبية مع تلميذه بنيامين لي ورف (١٨٩٧–١٩١٤) في بحوثهم التي أجروها عن اللغات الأمريكية الهندية وأصبحت آراء ورف في الاعتماد المتبادل للغة والفكر تعرف بنظرية سابير–ورف (Sapir–Whorfhy Hypothesis)"(٨).

تنص نظرية سابير–ورف على أنَّ بنية اللغة التي يستعملها الفرد هي التي تؤثر على فكرة الإنسان والطريقة التي يتصرف بها، أيْ إنّ العقول مقيدة باللغة التي ينطقها الإنسان وبهذا فإن البشر أسرى للغاتهم وبالنتيجة لا يستطيعون تطوير المناهج العلمية والفكرية(٩) .

تعرضت نظرية سابير–ورف لجدل عنيف ورفض شديد منذ إعلانها، نتيجة لما طرحته هذه النظرية من أنَّ اللغة هي التي تحدد الفكر وليس العكس وهذا يدل على أن الاكتشافات العلمية رهن اللغة فلم يكن لأحد أن يتقبل

---

(١) ينظر: اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش: ٢٧٤.

(٢) ينظر: م. ن: ٢٧٤.

(٣) سلوكية بلومفيلد ومسوّغات إعمامها، د.حيدر غضبان، مقال منشور في جريدة المترجم العراقي، العدد التاسع، أيلول، ٢٠١٩: ٦.

(٤) اتجاهات البحث اللساني مليكا إفيتش: ٢٧٤.

(٥) أعلام الفكر اللغوي, جوزيف نايجل وآخرون ٢٣/٢.

(٦) مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت: ٢٣٢، أعلام الفكر اللغوي, جوزيف نايجل وآخرون: ٢٣/٢.

(٧) ينظر: أعلام الفكر اللغوي، جوزيف نايجل وآخرون : ٢٣/٢.

(٨) اللغة والثقافة، كلير كرامش: ٢٧.

(٩) ينظر: أعلام الفكر اللغوي, جوزيف نايجل وآخرون: ٢٤/٢.

فكرة أنَّ الإنسان سجين اللغة ولا يستطيع المشاركة في الفكر العلمي[١]. زيادة على أنَّ آراء سابير قد خلقت إشكالات لم يستطع حلّها، وأن منهجه في دراسة اللغة لم يسمح باختزال الظواهر اللغوية بصيغ مبسطة، وأن فهم اللغة يكون ضمن فهم الحضارة، ممّا أدى إلى عزوف الطلبة عن منهجه هذا، والتحوّل إلى منهج بلومفيلد الذي يدرس اللغة بمعزل عن الحضارة وبطريقة أكثر تبسيطا وسلاسة[٢]؛ "فالملاحظ على بدايات الوصفية الأمريكية أنَّها بدايات متعثّرة تمثّلت بمحاولتي بواز وسابير، إلى أن استقرّت على يد بلومفيلد الذي طوّر أفكاره زيليج هاريس؛ ولعل سبب ذلك التلكؤ طبيعة اللغات الأمريكية التي لا تتسم بالانسجام الثقافي أو الاجتماعي؛ لأنها تنتمي إلى مجتمعات بدائية، مما حدا ببلومفيلد –بعد إخفاق المحاولتين السابقتين– إلى أن يضع منهجا يلائم لغات تلك المجتمعات البدائية المتمثل بالمنهج السلوكي"[٣].

ثالثا : المنهج السلوكي في دراسة اللغة:

يعد ليونارد بلومفيلد (١٨٨٧–١٩٤٩) المؤسس الحقيقي للسلوكية اللغوية، الذي تأثر بعالم النفس السلوكي (واطسن)، وقد أعلن بلومفيلد عن المنهج السلوكي في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين في كتابه (اللغة) Language[٤] بناءً على أنَّ اللغة ظاهرة سلوكية. وقد أكد ذلك لوينز بذهابه إلى أنَّ من خصائص اللغة أنَّها سلوكية أيضاً زيادة على كونها عقلية واستعمالية وذهنية[٥].

فما هو المنهج السلوكي في دراسة اللغة؟ وما هي صلته بعلم النفس السلوكي؟

تقتضي الإجابة عن هذا السؤال التعريف بالسلوك اصطلاحاً.

السلوك اصطلاحاً:

يعود تاريخ لفظة السلوك (Behavior) إلى القرن الخامس عشر فقد استعملها هنري بيرون في علم النفس الموضوعي، وفي علم النفس الحيواني، والدالة على "فاعلية الموجودات وعلاقتها الحسية الحركية بالوسط"[٦]. وأشار ليو نزالى إلى أنَّه من الممكن وصف كل ما ننطقه من كلمة أو عبارة أو جملة بأنَّه استجابات شرطية (Conditional responses) للمواقف التي تحدث فيها، فالكثير من الاستعمال اليومي للغة يوصف بصورة جيدة وصفاً سلوكياً[٧] .

وقد جاء تعريف السلوك بأنَّه: "الاستجابة الكلية الحركية واللغوية التي يقوم بها الكائن الحي نتيجة للموقف الذي يواجهه، والسلوكية نظرية فلسفية في علم النفس أساساً، راجت بين الحربين العالميتين فجاءت ردة فعل للمنهج الاستبطاني وخاصة في الولايات المتحدة، ومن الممكن تحليل كل سلوك إنساني أو حيواني إلى مثير واستجابة"[٨].

وعلم النفس كما يراه السلوكي فرع موضوعي تماماً، تجريبي من علوم الطبيعة هدفه النظري التنبؤ بالسلوك وضبطه، ولا يؤدي الاستبطان (الملاحظة الذاتية) أيّ أثر جوهري في مناهجه، ولا تتوقف القيمة العلمية لبياناته

(١) ينظر: اللغة والثقافة، كلير كرامش: ٢٩.

(٢) ينظر: أعلام الفكر اللغوي, جوزيف نايجل وآخرون: ٢/ ٣٨.

(٣) سلوكية بلومفيلد ومسوّغات إعمامها، د.حيدر غضبان، مقال منشور في جريدة المترجم العراقي، العدد التاسع، أيلول، ٢٠١٩: ٦.

(٤) ينظر: مناهج علم اللغة, برجية بارتشت: ٢٣١.

(٥) ينظر: علم الدلالة، جون لاينز: ١١

(٦) علم النفس السلوك، هاني محمود الكايد: ٦١ – ٦٢.

(٧) ينظر: علم الدلالة، جون ليونز: ٣١.

(٨) موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبد المنعم: ٧٤٦.

على مدى صلاحيته لتفسير بمفاهيم الوعي، ولا يعرف السلوكي في جهده للحصول على مخطط موحد لرد فعل الكائن الحي، خطاً شاملاً بين الإنسان والحيوان(١).

وقد عرف بلومفيلد الشكل اللغوي بأنَّه: "الموقف الذي ينطق فيه المتكلم هذا الشكل ورد الفعل الذي يستثيره في السامع"(٢). وعرف بلومفيلد "المعنى اللغوي متابعاً سلوكية واطسون بواسطة الموقف الذي ينطق فيه المتكلم تلك الصيغة والاستجابة التي تثيرها هذه الصيغة لدى السامع"(٣).

من هنا "لا يمكن أن تفهم "فرضيات بلومفيلد حول الاستعمال اللغوي وتعلم اللغة دون قبوله قالب فكري سلوكي"(٤).

المبحث الثاني

مسوغات التحول المنهجي عند بلومفيلد

كان المنهج السائد في القرن التاسع عشر هو المنهج التاريخي والمقارن الذي طبق على اللغات الهندو أوربية ذات الأصول التاريخية والعلاقات المعقدة، وقد كان بلومفيلد ممن تلقى مبادئ علم اللغة التاريخي والمقارن ونال الشهادات العليا فيها، شأنه في ذلك شأن رواد علم اللغة الأمريكي (فرانز بواز) و(إدورد سابير)(٥).

إلا أن رواد علم اللغة الأمريكي –فرانز بواز وإدوارد سابير– عندما عادوا إلى الولايات المتحدة اصطدموا بخصوصية اللغات الهندو أمريكية، زيادة على عدم نضج مشروعهما، وصعوبة منهج سابير الثقافي(٦)؛ لأنَّ اللغات الهندية – الأمريكية لا تاريخ لها، وتتكلمها مجتمعات أمية لا تعرف القراءة والكتابة، ولا توجد صلاة نسب بينها، وعلى هذا الأساس لم يكن المنهج التاريخي والمقارن صالحاً لدراسة تلك اللغات. وعليه اقتضى إيجاد منهج جديد لدراستها ليلائم طبيعة تلك اللغات(٧).

ومن المسوغات الخاصة التي دعت إلى التحول المنهجي إلى السلوكية أنَّ من خصائص اللغة ومميزاتها أنَّها سلوكية زيادة على كونها عقلية ذهنية(٨)، وقد نظر بلومفيلد إليها من منظار سلوكي تبعاً لشيوع المنهج السلوكي على يد واطسن.

زيادة على أنَّ المجتمعات الهندو أمريكية هي مجتمعات بدائية وقبَلية تعيش حياة همجية غريزية وسلوكها أقرب إلى سلوك الحيوانات، فمن خصائص هذه المجتمعات أنَّها تختلف عن عقلية الإنسان الحضَري، وأنَّها مجتمعات تسيطر عليها التصورات الجمعية المضادة للمنطق أو سابقة له(٩).

ومع التطور الذي حدث في القرن العشرين بدخول الأنثروبولوجيا، أدى إلى التخلي عن المنهج النظري القديم واستبداله بالمنهج التطبيقي، زيادة على تحديد علاقة التأثير والتأثر بينهما وبين منظومة العلوم الاجتماعية

---

(١) مناهج علم اللغة، برجيته بارتشت: ٢٠٥.

(٢) م. ن: ٢٠٧.

(٣) مناهج علم اللغة، برجيته بارتشت: ٢٠٩، مدخل إلى علم اللغة د. محمود فهمي حجازي: ١٤٠.

(٤) مناهج علم اللغة، برجيته بارتشت: ٢٠٧.

(٥) ينظر: مناهج علم اللغة، برجيته بارتشت:١٩٩

(٦) ينظر: أعلام الفكر اللغوي, جوزيف نايجل وآخرون:٣٢/٢

(٧) ينظر: مناهج علم اللغة، برجيته بارتشت: ١٩٩

(٨) ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز: ١١ – ١٢.

(٩) ينظر: قاموس علم الاجتماع، د.غيث محمد: ٣١٩–٣٢٠. وقصة الأنثروبولوجيا د.حسين فهيم: ٦٣.

والإنسانية الأخرى، فإنَّ النظرة الشاملة تميز المنهج الأنثروبولوجي الذي يتطلب دراسة أي موضوع مهما كانت طبيعته وأهدافه دراسة كلية متكاملة(١).

لقد عبّر التطوريون عن الأقوام البدائية؛ بأنها أقوام أقرب إلى الإنسان الأول في عصوره الحجرية، واعتبرت ثقافتهم بعناية بقايا متحجرة من الثقافات البدائية الأصلية، وأن هذه الشعوب تفتقر إلى التطور التكنولوجي وجاءت هذه الأقوام من العهد الأول في العصر الحجري نازحين بسبب ابتلاع الأنهار المتجمدة للمياه المحيطية فسمح بنزوح الجماعات المغولية الأصلية الآسيوية الشمالية إلى آلاسكا(٢).

وأكد هذا الكلام الرحالة الإسباني (آكوستا) إذ افترض أنَّ الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلاً من آسيا إلى أمريكا وكانت حضارتهم الأصلية تختلف عن الحضارة التي نزحوا إليها، وقدم آكوستا افتراضاً آخرا عن تطور الحضارة الإنسانية في مراحل معينة معتمداً على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة(٣).

ومن أهم ما يميز علم اللغة الأمريكي أنَّه عالج مشاكل لم تواجه اللغويين الأوربيين مثل معالجة لغات الهندو أمريكيين ودراسة تاريخهم باسم الأنثروبولوجي ووجود لغات في القارة الأمريكية تتجاوز المئات وما عدا ذلك فهناك تماثل في الأسس بينه وبين علم اللغة الأوربي(٤).

المبحث الثالث

مرجعيات علم اللغة السلوكي

تعددت مرجعيات علم اللغة السلوكي بتعدد ثقافة مؤسسها (بلومفيلد) وطبيعة المجتمعات الهندية التي عنى بلومفيلد بدراسة لغاتها، وبناء عليه يمكن تصنيف تلك المرجعيات إلى ما يأتي:

أولا: أخذت العلوم الإنسانية في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر بالإفادة من العلوم التجريبية وتستعين بمبادئ العلوم الصرفة والبيولوجيا؛ كعلم الأحياء والإحاثة وطبقات الأرض، وأخذت تلك العلوم الإنسانية تنحى في صياغة مبادئها بتلك العلوم. زيادة على اكتشاف اللغة السنسكريتية وحلولها محل اللغة العبرية من حيث كونها أصل اللغات وقد شاع ذلك في فرنسا وألمانيا على نحو الخصوص(٥). ومن هنا تزاوج التأثر بالروح العلمية في العلوم الصرفة واكتشاف اللغة السنكسريتية ليولد لنا علمٌ لغويٌّ تاريخيٌّ مقارنٌ متأثرا بالنزعة التجريبية في العلوم الصرفة.

وأتاحت دراسة بلومفيلد وحصوله على شهادة الدكتوراه في علم اللغة التاريخي والمقارن في ألمانيا التأثر بعلمية دراسة اللغة التي شاعت هناك، فقد آمنت المناهج المتعددة لعلم اللغة التاريخي والمقارن بالنظرة الطبيعية للغة والمجردة من التأثيرات العقلية، منها؛ المذهب النفسي شتيتنهال (١٩٨٨)؛ الذي تأثر بأفكار هربرت الخاصة بالنظام الاستدعائي للروح البشرية. وأنَّ الصلات الروحية بين الأمم تتجلى في أشكال متقاربة من التركيب اللغوي والعكس صحيح. وتابعه على ذلك فيلهلم فوندت(ت١٩٢٠) الذي دعم نظرية الإدراك بالترابط على أساس أنَّ العقل البشري مؤسس على انطباعات من العالم الخارجي تستقبلها الحواس, في حين أنَّ اللغة تعيش على التعبير عن الأفكار التي تحدد بهذه الطريقة أي بواسطة العامل الحسي. واقترح فوندت التمييز بين العمليات النفسية الأساسية والمركبة. فالعمليات الأساسية تتصل اتصالاً مباشرا بالعمليات الفسيولوجية, إذ هي في الواقع عمليات نفسية فسيولوجية. وعدّ فوندت

(١) ينظر: مدخل إلى علم الانسان، الانثروبولوجيا، د. عيسى النماس: ٩.

(٢) ينظر: موسوعة تاريخ أديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، فراس السواح. م. غادة جاوينس وآخرون: ٢٢٢/١٤.

(٣) ينظر: الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، جون ديوى: ٤٠.

(٤) ينظر: محاضرات في علم اللغة الحديث، أحمد مختار عمر: ١٧.

(٥) ينظر: لغات الفردوس ، موريس أولندر: ٣٩.

العمليات المتصلة اتصالاً مباشرا بالفكر كالعواطف والمذاهب العقدية... إلخ عمليات مركبة ولهذا السبب تتعذر دراستها بالطرق المختبرية[1]، ومن اتباعه ايضاً أ.مارتي (ت١٩١٤)؛ الذي تبنى اتجاها نفسيا في فلسفة اللغة فقد أراد أن ينشئ قواعد لسانية عامة على أساس نفسي فبدأ من الجزم بأنَّ معنى الصيغ اللسانية يتعلق بضمان التعبير عن الحالات النفسية للمتكلم وإثارة الاستجابات المناسبة في السامع. ومن ثم فهي تقع في نطاق الدراسات النفسية. وتوصل مارتي إلى أنَّ فلسفة اللغة يجب أن تكون نفسية في الأساس،[2] وكان لأفكاره الأثر في أوربا وأمريكا وحظيت جهوده في علم النفس التجريبي بشهرة كبيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين[3].

ومن المناهج التي تأثرت بالتجريبية وتأثر بها بلومفيلد (منهج النحاة الجدد)، فقد كان لبلومفيلد –المؤسس الحقيقي للمدرسة البنيوية الأمريكية– إرث النحاة الجدد من جهات عدة. وفي الحقيقة يعد نهج بلومفيلد ذا قرابة بقواعد النحاة الجدد أكثر بكثير من قرابته البنوية دي سوسير، يقول كلاوس هيشن في النحاة الجدد ومنهجهم: "يرتبط أي شيء التنفيذ الصارم للمعايير المحكمة لعلمية العلوم الطبيعية الوضعية الدقيقة بإزالة جذرية لكل التصورات الميتافيزيقية عن اللغة والتطور اللغوي, فقد حل محل التصورات الفلسفية المثالية العقلية التوجيه الصارم إلى مجالات حقائق يمكن ملاحظتها, ويهدف الشعار المشهور لـ هـ.باول إلى ذلك: امضِ مع التجريدات, وذلك يوجب بوصفها معايير لأعمال علمية- بشكل مطلق ومفترضة بحد ذاتها- أنَّها لم تؤثر إلا في الوقت الحاضر"[4].

لقد اتبع النحاة الجدد مبدأ التفسير العلمي بمفهوم الوضعية الأصلية شديد الآلية. ولكن يجب أن يراعى أخيرًا أنَّ هذه الآلية الصارمة قد أدت للمرة الأولى وظيفتها المفيدة للغاية في قذف كل طرائق التفسير الميتافيزيقية– المثالية الممكنة للوقائع اللغوية[5].

لم يؤمن النحاة الجدد إلا بقوانين التغير الصوتي تقريبا أي بقوانين التغير في الصيغ اللغوية الظاهرية الممكن ملاحظتها مباشرة, والتغير الصوتي عند النحاة الجدد مرتبط بمعطيات نفسية[6].

"وهكذا يحل هنا محل بديهية تجريبية نظرية علمية يعبر عبرها اعتقاد النحاة الجدد الكامل في إمكانية إدراك العالم بطريق علم آلي وضعي"[7].

من هنا يتبين لنا تأثر بلومفيلد في دراسته للغة بالعلمية التجريبية الشكلية الصرفة التي كست العلوم الإنسانية واللغوية. وتلك التجريبية أحدى العناصر المهمة في النظرية السلوكية اللغوية التي تنظر إلى الإنسان على أنَّه آلة، وهو ما دفع سكنر في ما بعد إلى أن يؤلف كتابا بعنوان (تكنولوجيا السلوك) محاولا بذلك وضع قوانين تضبط السلوك الإنساني كتلك القوانين في العلوم الصرفة والطبيعية، وهو ما سيأتي الحديث عنه في موضعه.

ثانيا: التأثر بالفلسفة التجريبية والوضعية:

---

(1) ينظر: اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش: ٨٢.

(2) ينظر:: اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفيتش ٧٦.

(3) م.ن : ٨٢.

(4) القضايا الأساسية في علم اللغة ، كلاوس هيشن: ٨.

(5) ينظر: م.ن : ١١-١٢.

(6) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة ، كلاوس هيشن: ١٥

(7) مدخل إلى اللسانيات, د. محمد محمد يونس :٤٣,٤٤

(٤) ينظر: القضايا الأساسية في علم اللغة, كلاوس هيشن: ١٤.

(٥) ينظر: مدخل إلى اللسانيات, د. محمد محمد يونس:٤٨ .

من خصائص النظريات اللسانية الغربية أنَّها تنبثق متأثرة بالآراء الفلسفية وغالباً ما تأتي تلك النظريات استجابة لحاجات اجتماعية تحاول الفلسفات الإجابة عنها، لهذا يساعد البحث في مرجعيات النظريات اللسانية الباحثين في فهم تلك النظريات والغايات التي وجدت من أجلها الفلسفة التجريبية والوضعية، يقول جون لاينز: (إنَّه بدون معرفة التجريبية والوضعية لا يمكن أن يتوقع من طلاب اللسانيات أن يفهموا بعض القضايا النظرية والمنهجية التي ميزت بعض المدارس اللسانية من اخرى)[١].

وقد تأثر بلومفيلد بالفلسفة التجريبية والوضعية[٢] التي تشير إلى أنَّ كل المعرفة تأتي من الخبرة cxpcrience؛ ولاسيما الإدراك الحسي perception, والمادة المأخوذة من الحس sense_data وقد تبنت هذه النظرة المدرسة الوصفية الأمريكية التي كان يتزعمها اللساني الأمريكي بلومفيلد والذي تأثر إلى حد كبير بعالم النفس واطسن[٣] فالمعرفة العلمية هي التي تعتمد فحسب على خبرة الحواس وهو ما يقابل العقلانية (rationalism) التي تؤكد أثر العقل في اكتساب المعرفة وتؤكد قدرته على الاستنباط من المبادئ الأولية[٤] ."فإنَّ كلتا الفلسفتين التجريبية, والوضعية خلافًا للعقلانية– ترفضان إقحام الموضوعات التي تخرج عن نطاق الملاحظة, أو تتعدى حدود الوصف المقتصر على العناصر التي يمكن التحقق منها"[٥]. "والتجريبية هي نزعة علمانية نشأت ضد التيارات الغيبية والميتافيزيقية وعرفت برفضها إقحام الموضوعات التي تخرج عن نطاق الملاحظة"[٦]. ويرى السلوكيون أنَّ موضوع الانتباه ينبغي أن يتركز على العناصر اللغوية والملاحظة[٧], واقتصر السلوكيون والبنيويون إجمالاً على الوصف دون الخوض في موضوع الفرق بين الوصف والملاحظة.

ثالثاً: علم النفس السلوكي:

ظهرت السلوكية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٢) وهي متأثرة بعلم النفس الذي يعد جزءاً من الفلسفة، وكان من رواد السلوكية "جون واطسن (١٨٧٨ –١٩٤٨) الذي تأثر بأعمال المؤسسين لعلم النفس وبخاصة, داروين, وبافلوف, وديكارت, المدرسة الألمانية, وكانت ترى أن السلوك هو ما يتم ملاحظته ومشاهدته"[٨].

"وعندما جاءت السلوكية هيمنت كلياً على علم النفس الأمريكي حتى سمي بـ(علم النفس السلوكي) Behavioral psychology وقد اختلف العلماء في تحديد معنى السلوك فمنهم من يقصره على أنَّه نشاط كلي مركب ينطوي على عمليات جزئية وحركات وأداءات جزئية تفصيلية. أو نشاط كلي مركب يتضمن ثلاثة جوانب: جانب معرفي متمثل بالإدراك والتفكير والتذكير, وجانب حركي كالاستجابة الحركية, وجانب انفعالي متمثل بالحالة الانفعالية التي تصاحب السلوك. أي إنَّ بنية السلوك تتضمن جوانب ثلاث وهي: إدراكية معرفية, وحركية اجرائية, وانفعالية وجدانية"[٩].

---

(١) مدخل إلى اللسانيات , د. محمد محمد يونس: ٤٣.

(٢) ينظر: م.ن: ٤٦.

(٣) م.ن: ٤٣–٤٤

(٤) ينظر: المدخل السلوكي لدراسة اللغة, د. مصطفى زكي التوني: ١٣.

(٥)مدخل إلى اللسانيات,د.محمد محمد يونس:٤٦.

(٦) مدخل إلى اللسانيات, د. محمد محمد يونس:٤٦.

(٧) ينظر: م.ن: ٤٧–٤٨.

(٨) علم النفس السلوك القيادي, هاني محمود الكايد:٣١.

(٩) أسس علم النفس العام, د.طلعت منصور وأخرون:٨–٩.

اشتهرت المدرسة السلوكية بشكل واسع، ولاقت تقبلاً بوصفها منهجاً علمياً زيادة على إسهامات العلماء السلوكيين بحيث يمكن القول: إن منجزات كل عالم سلوكي مدرسة علمية بحد ذاتها(١).

"نشر واطسن كتابه السلوكية في سنة ١٩٢٤, ولكنه مهّد ببعض المبادئ التي وردت في بعض مقالاته ومحاضراته, إذ عُرِف السلوكيون بصرامتهم في الدعوة إلى المحافظة على الموضوعية, وانتقاد العقلانيين في الاعتماد على الحدس, والاستبطان في الحكم على المادة اللغوية, ورفضهم إقحام الأنظمة العميقة المفسرة للسلوك الخارجي"(٢).

وأهم ما يميز المدرسة السلوكية "اعتبارها عملية الإدراك تحدث نتيجة المؤثرات المختلفة على الحواس"(٣)، وبهذا عرّف علم النفس بأنَّه "العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره"(٤). ولواطسن صياغة أولية للتصور السلوكي للمعنى "حيث يرى أنَّ الكلمات تؤدي وظيفتها فيما يتعلق باستدعاء الاستجابات كما تفعل –بالضبط– الأشياء التي تكون الكلمات بديلاً عنها, ونجده هنا يعتمد على مفهوم الفعل الانعكاسي الشرطي فالكلمة تذكر بشكل عام في حضور شيء معين ويشير الشيء استجابة معينة وتتأسس علاقة ارتباطية بين الكلمة والشيء كذلك التي ترتبط بين الطعام ورنين الشوكة الرنانة في تجارب بافلوف, وفي غياب الشيء تعمل الكلمة كمثير بديل"(٥).

زيادة على ذلك أن هناك مبدأ رئيساً اعتمدته المدرسة السلوكية هو (المثير والاستجابة)، أيْ إنَّ السلوك الإنساني يحدث نتيجة استجابة لمثير أصلي، من هذا نستنتج أنَّ للبيئة أثرًا كبيرًا في استجابات الإنسان وفي السلوك المضطرب لديه؛ لأنَّ البيئة توفر الكثير من المثيرات التي تعمل على تنبيه الكائن الحي(٦).

إن الهدف الأساسي من علم النفس هو دراسة السلوك بوصفه متغيراً قابلاً للملاحظة والتجريب، والأسلوب السلوكي في الدراسة أسلوب علمي منظم لفهم السلوك، وهو يركز على العلاقة بين المثيرات والاستجابات، ويخضع تلك الاستجابات لمواقف تجريبية دقيقة، ويستبعد التقرير الذاتي وعمليات الاستبطان؛ لأنَّها أساليب غير علمية(٧).

أما موضوع علم النفس عند واطسون فهو دراسة السلوك، وغرضه التنبؤ بالسلوك، وتتمثل إجراءاته برصد المثير والاستجابة. فبتكرار المثيرات ومراقبة الاستجابات يؤدي إلى التنبؤ بالسلوك(8).

ولا يميز السلوكي –بحسب واطسون– في دراسة ردود الأفعال بين ما هو إنساني وما هو حيواني، إذ يخضع كلاهما لشروط تجريبية مماثلة(٩).

---

(١) ينظر :أسس علم النفس العام, د.طلعت منصور وأخرون: ٣٣.

(٢) مدخل إلى اللسانيات,محمد محمد يونس: ٤٤.

(٣) السلوك الإنساني,د.انتصار يوسف:١٨–١٩.

(٤) أسس علم النفس، د. أحمد محمد عبد الخالق: ٢٠.

٥() المدخل السلوكي لدراسة اللغة، مصطفى التوني: ١٧.

(٦) ينظر أصول علم النفس، د. احمد عزت راجح: ٢١.

(٧) معجم علم النفس والتحليل النفسي، د. فرج عبد القادر، محمد السيد، وآخرون: ٢٢٩، أسس علم النفس، د. طلعت منصور، د. أنور الشرقاوي: ٣٣٠، علم الدلالة، بالمر :اطار جديد: ٨١.

(8) ينظر: السلوك الإنساني ، د. انتصار يوسف: ١٧–١٨.

(٩) ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: ٢٠٥.

رابعاً: تأثر علم اللغة السلوكي بالمذهب الرِدّي*(البايلوجي):

تذهب السلوكية إلى أنَّ "الاستجابات التي تصدر عن الإنسان بصدد مثيرات معينة يمكن تفسيرها عن طريق القوانين الطبيعية والكيميائية المعروفة, وهو ما يرتبط بمذهب الرّدّية (reductionism) أي رد مجال القول بصدد الظواهر السيكولوجية إلى مجال القول بصدد الظواهر السلوكية, فالمفاهيم السيكولوجية يجب أن يكون هناك ما يكافؤها من ناحية السلوك التطبيقي ويجب أن تختبر الفروض والنظريات السيكولوجية عن طريق الظواهر السلوكية التي يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة ربما لذلك يذهب بلومفيلد إلى أنَّ (الاحداث الإنسانية جزء من تتابع العلة والأثر تشبه تماماً ما نلاحظه في دراسة الطبيعة والكيمياء, ووفقاً لبلومفيلد يمكن من حيث المبدأ أن نتنبأ بما إذا كان مثير معين سيدفع شخصاً ما إلى أن يتكلم, وإذا كان سيتكلم فمن الممكن أن نتنبأ بما سيقوله على نحو دقيق, بيد أننا لا نستطيع عملياً أن نقوم بهذا التنبؤ مالم نكن على علم تام ببنية جسده في هذه اللحظة"(١).

المبحث الرابع

مبادئ علم اللغة السلوكي وانتقاداته

مرّ علم اللغة السلوكي في صياغة مبادئه بمرحلتين؛

المرحلة الأولى: تمثلت بطروحات بلومفيلد متأثرا بالنظرة الآلية عند واطسن في علم النفس السلوكي, إذ حدَّ بلومفيلد الصيغة اللغوية بأنَّها "الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى والاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع"(٢).

وغالباً ما استشهد بالمثال (جاك وجيل)؛ حيث يفترض أن جيل جائعة ورأت تفاحة على الشجرة، فتصدر صوتاً من حنجرتها، وبلسانها وشفتيها، يقفز جاك السور، ويتسلق الشجرة، ثم يأخذ التفاحة، ويحضرها لجيل ويضعها في يدها، ثم تأكل جيل التفاحة(٣)

هذا الموقف صور لنا مخططاً من المثير والاستجابة على النحو الآتي:

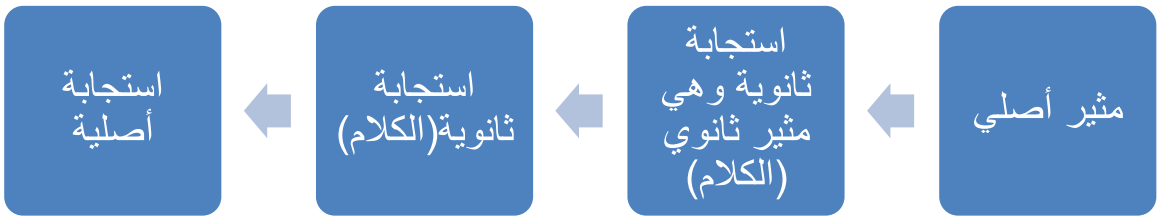

المعنى عند بلومفيلد: يتكون بالربط بين الكلام الذي يرى r . s والأحداث العلمية (S) و (R) التي تسبقه أو تليه(٤).

فالمعنى عند بلومفيلد هو الموقف الذي يتحدث فيه المتكلم ورد الفعل (الاستجابة) من السامع، ومن هذا يتبين لنا أنَّ التحليل اللغوي عند بلومفيلد يبدأ من الأشكال لا المعنى ، فدراسة المعنى تالية لدراسة الأشكال اللغوية(٥). فهو

---

(١) المدخل السلوكي لدراسة اللغة, مصطفى التوني: ١٧- ١٨.

(٢) علم الدلالة: اطار جديد، بالمر: ٨١.

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة، بارتشت: ٢٤٣.

(٤) ينظر: علم الدلالة إطار جديد، بالمر: ٨٢، مناهج علم اللغة، بارتشت: ٢١١.

(٥) ينظر: بحث سياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي، د. حيدر غضبان، ود.دوهان محمد دوهان، مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية، المجلد ٢٣ / العدد ٤: ٢٠١٥.

ينظر إلى اللغة نظرة آلية مجرّدة من العقل والتصورات المعنوية فاللغة هي استجابات آلية سببها المثيرات البيئية الطبيعية التي تحيط بالإنسان.

ب ــ المرحلة الثانية –مرحلة سكنر :

سكنر عالم نفسي سلوكي, مزج بين الاختصاصين، ويُعدّ علم اللغة السلوكي عند سكنر ممتزجاً بعلم النفس السلوكي.

مرت صياغة مبادئ دراسة اللغة عند سكنر بمرحلتين؛ مثّلت إحداهما آراؤه في كتابه (السلوك اللفظي) الصادر في خمسينيات القرن العشرين، التي كان ملتزما فيها بمبادئ علم النفس السلوكي وأثر البيئة الصرفة في الاستجابات اللغوية، مع بعض التعديلات البسيطة التي لا تمس آلية السلوك الإنساني وتجرده من العقل والميتافيزيقيا.

وتأتي المرحلة الثانية بعناية سكنر بدراسة اللغة دراسة سلوكية لكونه مختصا بعلم النفس السلوكي وزياداته عليه، إذ لم يبق علم النفس السلوكي على مبادئه نفسها التي صاغها واطسون، بل تعرضت تلك المبادئ إلى تطوير وتعديل من عالم النفس سكنر في السبعينيات من القرن العشرين في كتابه (تكنلوجيا السلوك), إذ رأى فيه أنَّ اهتمامات علم النفس قبل ألفين وخمسمئة عام مركزة على العقل ولم يهتم بدراسة السلوك إلا بوصفه نتيجة ثانوية، ورأى أنَّ من واجب التحليل العلمي دراسة السلوك الإنساني ليس بوصفه جهازا ماديا فحسب بل بوصفه متعلقا بالظروف والأحوال التي تطوّر الجنس البشري في ظلها والظروف التي يعيش فيها[١].

لقد رأى سكنر أنَّ محاولات دراسة السلوك السابقة بحسب المثير والاستجابة لم تكن مقنعة قط، ولا بد من رصد سلوك الإنسان الداخلي الذي يحوّل المثير إلى استجابة[٢].

وقد أكد سكنر دراسة السلوك الإنساني بوصفه آلة لكنه ليس بالمعنى الآلي الحرفي الشائع قبله "فالإنسان آلة بمعنى أنَّه نظام معقّد يسلك بطرق لها مبادئ وقوانين"[٣]. ورأى أنَّ التحليل التجريبي المستقل ينقل تحديد السلوك من الإنسان إلى البيئة التي تكون هي المسؤولة عن تطوّر الجنس البشري. ومع هذا لم يلغِ رأي سكنر هذا أثرَ الإنسان وإنَّما أكد أنَّ الإنسان هو من يصنع بيئته تلك[٤]. وقصد سكنر بالبيئة؛ المكان الذي نشأ وتطور فيه الجنس البشري التي يتشكل فيها سلوك الفرد ويصان, وتدل التقلبات التي طرأت على (مذهب البيئة), على مقدار الصعوبة التي واجهت أحداث هذا التغيير. وهو أمر معروف منذ زمن طويل فسلوك الإنسان مدين بشيء ما للأحداث السالفة, والبيئة وسيلة لفهم الموضوع وهي أجدى وانفع من الإنسان نفسه. وقد كتب (جلبرت سلدز)؛ (أن الإنسان هو ابن الظروف, وأنَّك لو غيرت بيئات ثلاثين طفلا من الهوتنتوت (شعب في جنوب افريقيا) وثلاثين طفلا من ارستقراطي الإنجليز, فسيصبح الارستقراطيون هوتنتوت, من كل النواحي العلمية, وسيصبح الهوتينتوت محافظين صغارا. والدليل الاخر الذي يؤيد(مذهب البيئة) في صورته المباشرة واضح, فالناس يختلفون كثيراً تبعاً لاختلاف الأماكن[٥]

إنَّ عملية اكتساب السلوك عند سكنر تفرضها البيئية التي صنعها الإنسان بنفسه على مدى العصور، فنحن نكتسب السلوك اللغوي بملاحظة الآخرين بوصفنا مستمعين لهم وتتيح لنا التجارب السابقة والملاحظة للسلوكيات

(١) ينظر: تكنلوجيا السلوك، سكنر:١٥– ١٦.
(٢) ينظر: م.ن: ١٧.
(٣) م.ن: ٢٠١.
(٤) ينظر: م.ن: ٢٠٤–٢٠٥ و٢٠١٢–٢٠١٣.
(٥) ينظر: م.ن:١٧٨ـ١٧٩.

السابقة ما نحصل عليه من معارف أن نتجنب التعرض المباشر للطوارئ. فنحن نتعلم من خبرة الآخرين بالاستجابة إلى ما يقولونه عن الطوارئ، ونبني موقفا نتنبأ به كيفية السلوك الملائم مع الطوارئ(١).

من هنا تظهر إسهامات سكنر في تطوير مبادئ علم النفس السلوكي ورؤاه، من حيث ربط الإنسان ببيئته وبمحيطه الخارجي، بل تأتي رؤيته الآلية للسلوك ليس بوصف الإنسان مجردا من إنسانيته وإنَّما قصد بالآلة النظام المعقد الذي يرسم للسلوك الإنساني قوانينه وقواعده(٢).

الانتقادات على علم اللغة السلوكي:

قدم جون ليونز (Jolyons) رؤية عامة معقولة عن المبادئ الأساسية للسلوكية بحسب وجهة نظر واطسن.

يرى ليونز أنَّ صورة العالم لدى السلوكيين آلية حتمية فكل شيء في الكون محدد بالقوانين الفيزيائية ذاتها فلا يمكن للمرء الحكم على النشاط الفيزيائي للإنسان إلا على أساس ردود أفعاله، ويعني ذلك رفض الاستبطان وسيلة للوصول إلى بيانات صحيحة في علم النفس(٣) .

وعليه ترفض السلوكية المعلومات التي لا تقبل الملاحظة المباشرة ومن ثم لا تسلم بوجود أيّ شيء لا يمكن ملاحظته أو قياسه، وتذهب إلى أنَّ سلوك الإنسان لا يفسره وجود العقل وإنَّما تفسره أنماط الاستجابات العضوية للمثيرات التي تقدمها البيئة الفيزيائية المحيطة بالكائن الحي(٤) .

زيادة على ذلك أنّ السلوكية تضعف من أثر الموهبة وتقلل القدرات الأخرى إلى الحد الأدنى وتؤكد أن اكتساب الإنسان والحيوان أنماط سلوكهم من التعلم، وتؤكد أيضاً أثر التنشئة من الطبيعة وتعزو أكثر العوامل المؤثرة إلى البيئة وأقلها إلى الوراثة(٥) .

وفي ما يتعلق بالسلوكية اللغوية، انتقد ليونز رأي بلومفيلد في الموقف الذي يمثل عنده استشعار الجوع عند جيل ليؤدي إلى رد فعل جاك بجلب التفاحة، يقول ليونز: "ربما أحضر جاك التفاحة، ولكنه هو نفسه يستطيع أن يأكلها، وربما يكون ردّ فعله لغويا أيضا بدلا من أن يحضر التفاحة لجيل. وذلك بطرق مختلفة، على سبيل المثال بداية بتأكيد أنَّه يريد أن يحضر التفاحة، بل بأن يقول لها، أيضا: لا يمكن أن تكوني جائعة، فقد فرغنا للتو من طعام الغداء، أو بأن يقول لها: هل تريدين التفاحة حقا؟ أنت تصابين بعد ذلك دائما بألم في المعدة! أو ما يشبه ذلك"(٦)، وبهذا تختلف ردود أفعال جاك باختلاف المواقف.

وهذا ما أكده كلاوس هيشن الذي رأى أيضا إمكانية تعدد ردود الأفعال بتعدد المواقف، مشيرا إلى ربط حصول ردود الأفعال (في مجتمع بعينه)، وتكون هذه الردود ملزمة اجتماعيا، وبذلك تكون اللغة أكثر من مجرد بيوفيزيائية بل بيو اجتماعية. بمعنى وجود ما هو اجتماعي في السلوك الإنساني(٧).

---

(١) ينظر: تكنلوجيا السلوك، سكنر: ١٧٨-١٧٩.

(٢) ينظر: م.ن:٢٠١

(٣) ينظر: مناهج علم اللغة، بارتشت: ٢٠٦.

(٤) م. ن: ٢٠٦.

(٥) ينظر: المدخل السلوكي لدراسة اللغة، د. مصطفى زكي: ١٤.

(٦) مناهج علم اللغة، بارتشت: ٢١٢.

(٧) ينظر: قضايا أساسية في علم اللغة: كلاوس هيشن: ١١٧ ,١٢٠.

ومن هنا رأت بريجيته بارتشت –بناء على رأي ليونز السابق– أنَّه "لا يمكن أن يحلل بوجه عام إلا عدد ضئيل من المواقف، ولا يستطيع السلوكي أن يدلي بقول حول كل أجزاء الثروة اللغوية التي تحيل إلى أشياء لا يمكن ملاحظتها"(١). غير أنَّنا سنلاحظ على العلماء العرب في دراستهم لأساليب الطلب قد راعوا المواقف في تقنين تلك الأساليب بمعنى مراعاة المقامات في تحقق الأساليب لفظيا، أو في حال خروجها إلى غير أغراضها الحقيقية إلى أغراض مجازية.

وأكثر من قام بنقد النظرية السلوكية هو تشومسكي، الذي يرى أنَّ سلوك الإنسان وما يدور حوله من معتقدات وأفكار وأفعال ... يمكن تفسيرها بأنَّها مجموعة من العادات التي تقوم على مبدأ الشرط، وأنَّ هذه العادات لا تختلف في كيفيتها ونوعها عن الطريقة التي تتعلم بها الفئران في معامل علم النفس عندما تريد أن تصل إلى غذائها بدفع حاجز خاص في القفص الذي حُبست فيه(٢) .

وبناءً على الانتقادات التي وجهها العلماء على النظرية اللغوية نقترح تعديل التحليل السلوكي للغة بمراعاة ما يأتي:

١. مراعاة الجانب الآلي الانفعالي للإنسان القائم على الغريزة، بوصف الغريزة جزءا من أجزاء مكونات الإنسان النفسية...إلخ.
٢. مراعاة الجانب الاجتماعي وتغيّر المواقف الاجتماعية في تحقق المثيرات الأصلية والثانوية، وتحقق الاستجابات الأصلية والثانوية.
٣. مراعاة الجانب العقلي في النشاط السلوكي بمثيراته واستجاباته.
٤. الاهتمام باستخلاص التنبؤ بالسلوك وسن قوانين لغوية بناء على تلك التنبؤات.

ويمكن إيجاز محاولة التعديل هذه بأنَّها؛ تعتني بإدراج المقام بما يحمله من بعد اجتماعي وعقلي وغريزي؛ كمراعاة حال المتكلم والمخاطب ووعي الطرفين بتلك الحالات في بناء استجاباتهم الثانوية أو ردود أفعالهم اللغوية، ومراعاة الظروف المحيطة بهما أيضا، واحتمالات المقام الأخرى في بناء مخطط للنشاط السلوكي اللغوي للإنسان. وبهذا نقترح مخططاً تعديلياً على مخطط بلومفيلد وهو:

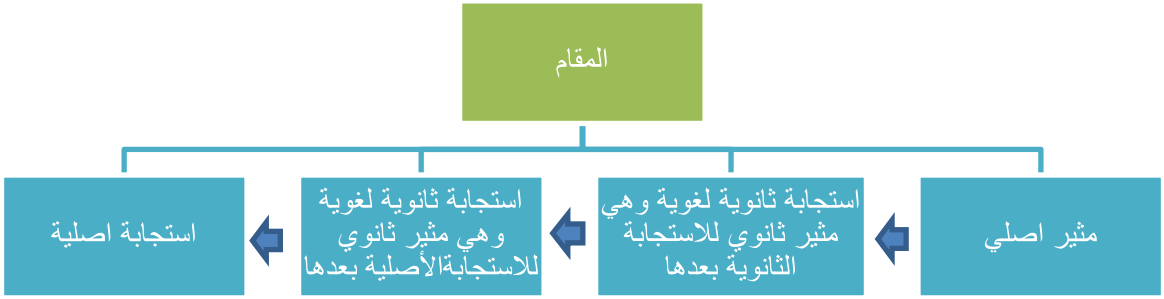

(١) مناهج علم اللغة، بارتشت: ٢١٢.
(٢) ينظر: علم اللغة الحديث، محمد عبد العزيز: ٣٢٣ – ٣٢٤.

وتتميز الاستجابات الثانوية اللغوية بإمكانية تعددها بحيث تصير الأولى مثيرا ثانويا للاستجابة اللغوية التالية، وهنا تأتي امكانية تعدد الاستجابات اللغوية الثانوية إلى ما لا نهاية.

إن من المسوغات الداعية إلى تعديل مخطط بلومفيلد والأخذ به بعد التعديل كون اللغة في مظهر من مظاهرها سلوكية تميل في بعض صياغاتها وتعابيرها إلى الانطباع والاستجابات الانفعالية غير المسوغ لها.

زيادة على ذلك، فلا توجد نظرية لغوية شاملة لكل مظاهر اللغة وخصائصها .

ومن مسوغات المخطط التي عملنا عليها لإتمامه مايأتي :

١- تطور النظرية وإضافة الجانب العقلي والمقامي لها .

٢- الهدف من المخطط التحليل إلى المثير والاستجابة هو التنبؤ بالسلوك اللغوي عبر تكرار المثيرات ومراقبة الاستجابات .

بناءً على ذلك التنبؤ بالسلوك اللغوي نستطيع سن القوانين اللغوية وتفسير شيوعها في لغة من اللغات.

الخاتمة

يمكن إيجاز ما توصلنا إليه في هذا البحث من نتائج بما يأتي:

١. من العوامل التي أدت إلى ظهور المنهج السلوكي في دراسة اللغة عاملان؛ أحدهما: عدم تأقلم مناهج دراسة اللغة التي وضعها رواد علم اللغة الأمريكي (فرانز بواس وأدوارد سابير) مع طبيعة لغات المجتمعات الهندوأمريكية. والآخر أنَّ المجتمعات الهندو أمريكية هي مجتمعات بدائية وقبَلية تعيش حياة همجية غريزية وسلوكها أقرب إلى سلوك الحيوانات، فمن خصائص هذه المجتمعات؛ أنَّها تختلف عن عقلية الإنسان الحضَري، وأنَّها مجتمعات تسيطر عليها التصورات الجمعية المضادة للمنطق أو سابقة له. مما يعني ملاءمة المنهج السلوكي لدراسة تلك اللغات؛ لأنه منهج يقصي العقل والجوانب المعنوية في تحليل اللغة بحسب تصوّرات بلومفيلد له.

٢. كشف البحث عن المرجعيات الفكرية التي تبناها المنهج السلوكي في بناء تصوّراته المفاهيمية وإجراءاته التحليلية، وقد كشف البحث عن أربع مرجعيات فكرية للمنهج السلوكي في دراسة اللغة، هي:

أ. التأثر بالروح العلمية في العلوم التجريبية الصِّرفة والبيولوجية، وقد جاء هذا التأثر بسبب تأثر بلومفيلد بعلماء المنهج التاريخي والمقارن في ألمانيا التي أكمل دراسته فيها، إذ آمن عملاء المنهج التاريخي والمقارن الألمان بضرورة إكساء البحث اللغوي الصبغة العلمية التي تتمتع بها العلوم الصّرفة، بمعنى ضرورة دراسة اللغة دراسة علمية آلية بعيدا عن التصورات المثالية والظواهر التي لا يمكن ملاحظتها كما يبدو عند النحاة الجدد أساتذة بلومفيلد في ألمانيا.

ب. ومن تلك المرجعيات الفكرية التأثر بالفلسفة الوضعية التجريبية التي تعتمد على الخبرات الحسيّة في رصد المعارف، وقد جاء هذا من تأثر بلومفيلد بأفكار علم النفس السلوكي واطسن.

ت. التأثر بأفكار علماء النفس السلوكيين أمثال واطسون وبافلوف.

ث. التأثر بالمذهب الرِّدّيّ؛ الذي يؤمن برد مجال القول بصدد الظواهر السيكولوجية إلى مجال القول بصدد الظواهر السلوكية, فالمفاهيم السيكولوجية يجب أن يكون هناك ما يكافؤها من ناحية السلوك التطبيقي

والملاحظ على كل المرجعيات السابقة أنها تقصي الجوانب غير المدرَكة بالحس أو غير القابلة للملاحظة، وتكتفي بدراسة اللغة دراسةً آلية صرفة.

٣. كشف البحث عن قصور النظرة المتداولة إلى المنهج السلوكي باكتفائها بعكس تصوّرات بلومفيلد السلوكية، وأحيانا تجاوزها إلى المراحل الأولى لسلوكية سكنر.

وقد بيّن البحث أن للمنهج السلوكي في صياغة مبادئه مرحلتين؛ تتمثل الأولى بآراء بلومفيلد السلوكية الآلية الصّرفة. أما المرحلة الثانية وهي مرحلة سلوكية سكنر فقد مرّت بمرحلتين أيضا؛ مثّلت إحداهما آراءه في كتابه (السلوك اللفظي) الصادر في خمسينيات القرن العشرين، وقد التزم فيها بمبادئ علم النفس السلوكي وأثر البيئة الصّرفة في الاستجابات اللغوية، مع بعض التعديلات البسيطة التي لا تمس آلية السلوك الإنساني وتجرده من العقل والميتافيزيقيا. وتأتي المرحلة الثانية بعناية سكنر بتطوير النظرية السلوكية اللغوية وتعديلها في السبعينيات من القرن العشرين في كتابه (تكنلوجيا السلوك), إذ رأى فيه أنَّ من واجب التحليل العلمي دراسة السلوك الإنساني ليس بوصفه جهازا ماديا فحسب بل بوصفه متعلقا بالظروف والأحوال التي تطوّر الجنس البشري في ظلها والظروف التي يعيش فيها. وهو تحوّل مهم في الدراسة السلوكية للغة لم تشر إليه الدراسات اللغوية في ما بعد ولم تهتم به.

٤. مما يميز النظرية السلوكية اللغوية أنها نظرية لغوية تعرضت إلى انتقادات كثيرة إلا أنه لم يتم استثمار تلك الانتقادات في بناء نموذج متكامل لنظرية سلوكية لغوية، بل اكتفي بتلك الانتقادات والدعوة إلى هجر تلك النظرية، بخلاف النظريات اللسانية الأخرى، التي أفادت من النقود الموجّهة إليها في تطوير نموذجها النظري كنظرية تشومسكي اللغوية والنظرية الوظيفية التواصلية في مدرسة براغ، والنظرية الوظيفية الاجتماعية عند جون فيرث التي طورها في ما بعد تلميذه هاليداي، والنظريات التداولية والنصية والإدراكية.

٥. حاول البحث بناء نموذج تحليلي سلوكي للغة بناء على الانتقادات الموجهة إلى النظرية اللغوية السلوكية وبناء على النموذج السلوكي النهائي لسكنر زيادة على ملاحظاتنا التي استوحيناها من قراءة النظرية السلوكية. وكما يأتي:

أ. مراعاة الجانب الآلي الانفعالي للإنسان القائم على الغريزة، بوصف الغريزة جزءا من أجزاء مكونات الإنسان النفسية...إلخ.

ب. مراعاة الجانب الاجتماعي وتغيّر المواقف الاجتماعية في تحقق المثيرات الأصلية والثانوية، وتحقق الاستجابات الأصلية والثانوية.

ت. مراعاة الجانب العقلي في النشاط السلوكي بمثيراته واستجاباته.

ث. الاهتمام باستخلاص التنبؤ بالسلوك وسن قوانين لغوية بناء على تلك التنبؤات.

ويمكن إيجاز محاولة التعديل هذه بأنَّها؛ تعتني بإدراج المقام بما يحمله من بعد اجتماعي وعقلي وغريزي؛ كمراعاة حال المتكلم والمخاطب ووعي الطرفين بتلك الحالات في بناء استجاباتهم الثانوية أو ردود أفعالهم اللغوية، ومراعاة الظروف المحيطة بهما أيضا، واحتمالات المقام الأخرى في بناء مخطط للنشاط السلوكي اللغوي للإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

- (مقال) سلوكية بلومفيلد ومسوغات إعمامها, د. حيدر غضبان, منشور في جريدة المترجم العراقي, العدد التاسع, أيلول ,٢٠١٩: ٦.
- اتجاهات البحث اللساني, ميلكا افيتش, تر: سعد عبد العزيز مصلوح, د. وفاء كامل فايد, المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة, ط٢, ٢٠٠٠م.
- أسس علم النفس العام, د.طلعت منصور, د.أنور الشرقاوي,د. عادل عز الدين, د.فاروق أبو عوف, مكتبة الأنجلو المصرية _القاهرة ٢٠٠٣م.
- إشكالية المصطلح وأثرها في تصنيف المناهج اللسانية (الوصفية والبنوية والتوليدية واللسانيات) أنموذجاً م.د. حيدر غضبان محسن, كلية الآداب /جامعة بابل/ قسم اللغة العربية/ مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل/العدد ٢٤/ كانون الأول/٢٠١٥.
- أصول علم النفس, د. أحمد عزت راجح, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر_القاهرة, ط٧, ١٩٦٨م.
- أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي في القرن العشرين, جون راي, جوزيف, نايجل لف, تولبت جي تيلر, تر: د. احمد شاكر الكلابي. دار الكتاب الجديدة المتحدة, ط١, ٢٠٠١م باللغة الانكليزية, ط١, ٢٠٠٦م باللغة العربية.
- بحث سياق الحال بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي, د. حيدر غضبان , د. دوهان محمد دوهان. مجلة جامعة بابل/العلوم الانسانية, المجلد ٢٣/ العدد٤, ٢٠١٥م.
- تكنلوجيا السلوك الانساني, ب,ف سكنر , تر: د. عبد القادر يوسف , مراجعة, د. محمد رضا الدريني, المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب_الكويت,١٩٨٠م.
- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني , د. جون ديوى(١٨٥٩_١٩٥٢) تر: محمد لبيب النجيحي, تصوير محمد مدين, المركز القومي للترجمة, القاهرة, ٢٠٠٥م.
- علم الدلالة إطار جديد, ف.ر. بالمر, تر: د.صبري ابراهيم السيد, دار المعرفة الجامعية_ إسكندرية, ١٩٩٥م.
- علم الدلالة, جون لاينز, تر: مجيد عبد الحليم الماشطة, حليم حسين فالح, كاظم حسين باقر, مطبعة جامعة البصرة, ١٩٨٠م.
- علم اللغة الحديث, د. محمد حسن عبد العزيز, مكتبة الآداب_ القاهرة, ط١, ١٤٢٢هـ_٢٠١١م.
- علم النفس السلوك القيادي, هاني محمود الكايد, دار الراية للنشر والتوزيع_عمان , ط١, ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م.
- قصة الانثروبولوجيا, فصول في تاريخ علم الانسان, د. حسين فهيم, عالم المعرفة_الكويت, ١٩٧٨م.
- القضايا الأساسية في علم اللغة, كلاوس هيشن , تر: د. سعيد حسن بحيري, مؤسسة المختار_القاهرة, ط١, ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م.
- لغات الفردوس, آريون وساميون: ثنائي العناية الإلهية, تر: د. جورج سليمان, هيئة البحرين للثقافة والأثار_ المنامة, ط١, ٢٠١٦م.
- اللغة والثقافة , كلير كرامش, تر: د. أحمد الشيمي, مراجعة: عبد الودود العمراني, وزارة الثقافة والفنون والتراث_قطر, ط١ العربية الاولى:٢٠١٠م.

- اللغة وعلم اللغة , جون ليونز, تر: د. مصطفى التوني, دار النهضة العربية, القاهرة, ط١, ١٩٨٧م.
- مباحث تأسيسية في اللسانيات د.عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة للطباعة، ط١، ٢٠١٠م.
- محاضرات في علم اللغة الحديث, د. أحمد مختار عمر, عالم الكتب _القاهرة, ط١, ١٩٩٥م.
- المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء المدارس والاتجاهات في علم اللغة, د. مصطفى زكي التوني, كلية الاداب_جامعة الكويت, ١٤٠٩هـ_١٩٨٨م.
- مدخل إلى اللسانيات, د. محمد محمد يونس علي, دار الكتب الوطنية, بنغازي–ليبيا, ط١, ٢٠٠٤م.
- مدخل الى علم الإنسان,د. عيسى النماس, منشورات اتحاد الكتاب العرب_دمشق, ٢٠٠٤م.
- مدخل الى علم اللغة, د. محمود فهمي حجازي, دار قباء_القاهرة.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي, برجيته بارتشت, تر:أ.د. سعيد حسن بحيري, مؤسسة المختار للنشر,ط١, ١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م.
- الموسوعة الفلسفية, د. عبد المنعم الخفي, دار بن زيدون_بيروا, مكتبة مدبولي_القاهرة,
- موسوعة تاريخ الأديان,الشعوب البدائية والعصر الحجري, تحرير, فراس السواح, تر: غادة جويش,عدنان حسن, ثائر ديب, محمود منقذ الهاشمي, يوسف شلب الشام. ط٤, ٢٠١٧م.

Sources and references

- Article) Bloomfield's behaviorism and the justifications for its generalization, Dr. Haider Ghadban, published in the Iraqi Translator newspaper, ninth issue, September,: .٦
- Trends of Linguistic Research, Milka Avic, tr: Saad Abdel Aziz Maslouh, Dr. Wafaa Kamel Fayed, Supreme Council of Culture, National Project for Translation, ٢nd Edition, .٢٠٠٠
- Foundations of General Psychology, Dr. Talaat Mansour, Dr. Anwar Al-Sharqawi, Dr. Adel Ezz El-Din, Dr. Farouk Abu Auf, Anglo-Egyptian Library - Cairo 2003.
- The problem of the term and its impact on the classification of linguistic curricula (descriptive, structural, generative and linguistics) as a model Dr. Haider Ghadban Mohsen, Faculty of Arts / University of Babylon / Department of Arabic Language / Journal of the Faculty of Basic Education for Educational Sciences and Humanities / University of Babylon / Issue ٢٤/ December / .٢٠١٥
- The Origins of Psychology, Dr. Ahmed Ezzat Rajeh, Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, ٧th Edition, ١٩٦٨AD.
- Flags of linguistic thought Western tradition in the twentieth century, John Ray, Joseph, Nigel Love, Tolbet J. Teller, tr: Dr. Ahmed Shaker Al-Kalabi. Dar Al-Kitab Al-Jadida Al-Mutahdeh, ١st Edition, ٢٠٠١AD in English, ١st Edition, ٢٠٠٦AD in Arabic.
- Discussing the context of the situation between the linguistics of the sentence and the Arabic grammatical heritage, d. Haider Ghadban, d. Dohan Muhammad Dohan. Journal of the University of Babylon/Humanities, Volume ٢٣/ Issue ٤, .٢٠١٥
- Human Behavior Technology, B, F Skinner, tr: Dr. Abdul Qader Youssef, review, Dr. Muhammad Reda Al-Derini, National Council for Culture, Arts and Letters_Kuwait, .١٩٨٠

- Human Nature and Human Behavior, Dr. John Dewey (١٩٥٢-١٨٥٩) tr: Muhammad Labib Al-Najihi, photographed by Muhammad Madin, National Center for Translation, Cairo, .٢٠٠٥
- Semantics A New Framework, F.R. Palmer, tr: Dr. Sabry Ibrahim Al-Sayed, University Knowledge House, Alexandria, .١٩٩٥
- Semantics, John Lines, tr: Majeed Abdul Halim Al-Mashta, Halim Hussein Falih, Kazem Hussein Baqer, Basrah University Press, .١٩٨٠
- Modern Linguistics, Dr. Mohamed Hassan Abdel Aziz, Library of Arts_ Cairo, ١st Edition, ١٤٢٢AH _ ٢٠١١AD.
- Psychology of Leadership Behavior, Hani Mahmoud Al-Kayed, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, Amman, ١st Edition, ١٤٣٠AH _ ٢٠٠٩AD.
- The Story of Anthropology, Chapters in the History of Anthropology, Dr. Hussein Fahim, Knowledge World_Kuwait, .١٩٧٨
- Basic Issues in Linguistics, Klaus Hechen, tr: Dr. Saeed Hassan Beheiry, Al-Mukhtar Foundation_Cairo, ١st Edition, ١٤٢٤AH _ ٢٠٠٣AD.
- Paradise Languages, Aarians and Semites: The Divine Providence Duo, tr: Dr. George Suleiman, Bahrain Authority for Culture and Antiquities _ Manama, ١st Edition, ٢٠١٦AD.
- Language and Culture, Claire Kramsh, tr: Dr. Ahmed Al-Shimi, Review: Abdel Wadood Al-Amrani, Ministry of Culture, Arts and Heritage_Qatar, ١st Edition First Arabic: ٢٠١٠AD.
- Language and Linguistics, John Lyons, tr: Dr. Mustafa Al-Touni, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, ١st Edition, ١٩٨٧AD.
- Foundational investigations in linguistics d. Abdul Salam Al-Masadi, Dar Al-Kitab Al-Jadeed United Printing, ١st Edition, ٢٠١٠AD.
- Lectures in Modern Linguistics, Dr. Ahmed Mokhtar Omar, World of Books _ Cairo, ١st Edition, ١٩٩٥AD.
- Behavioral approach to the study of language in the light of schools and trends in linguistics, d. Mustafa Zaki Al-Touni, College of Arts, Kuwait University, ١٤٠٩ AH_ ١٩٨٨AD.
- Introduction to Linguistics, Dr. Muhammad Muhammad Yunus Ali, National Library House, Benghazi-Libya, ١st Edition, ٢٠٠٤AD.
- Introduction to Anthropology, Dr. Issa Al-Namas, Arab Writers Union Publications, Damascus, .٢٠٠٤
- Curricula of Linguistics from Herman Powell to Noam Chomsky, Bergete Bartscht, tr: Prof. Dr. Saeed Hassan Beheiri, Al-Mukhtar Foundation for Publishing, ١st Edition, ١٤٢٥AH _ ٢٠٠٤AD.
- Philosophical Encyclopedia, d. Abdel Moneim Al-Khafi, Dar Ibn Zaidoun_Birwa, Madbouly Library_Cairo,
- Encyclopedia of the History of Religions, Primitive Peoples and the Stone Age, editing, Firas Al-Sawah, tr: Ghada Juwish, Adnan Hassan, Thaer Deeb, Mahmoud Munqith Al-Hashemi, Youssef Shalab Al-Sham. 4th Edition,2017.